

المثل الأعلى في السبينا

مبارة عبقرية متألة

اللحن الذي لم يتم

Symphonie inachevée

للأستاذ خليل هندأوى

- ١ -

قد يكون الاقبال على هذا القلم الناطق بالألمانية ضعيفاً ، لأن
مخرجه لم يترك مجالاً للعادة تميث بالفن ، وللمصلحة تغلب على
الماطفة ، وللمبت تطوى يداه على « مثل أعلى » ألفتها عبقرية -
أقامت في الأرض عمرها - بمداد روحها ودماء قلبها . على أن
هذه الحياة قد فسدت ، ولم يبق خالصاً ظاهرها ولا باطنها ،
فالقوم قد لجوا من صراع المادة للمستحوذة عليهم ، وهم الذين
تركوا لها مجال التسيطر ، تفر المادة منهم ، وهم إليها يفرون ،
وقد آل بهم هذا الصراع اللئيم إلى أن يموا عن جوهر الحياة
الذي وضعته الحياة على أبنائها يوم كانت ، فهم من صراع إلى
صراع ، ومن نزاع إلى نزاع ، لا تراح لهم جنوب ولا تستقر
مضاجع . أحلامهم طامحة بالمراك كيقظانهم ، وليت شعري لم
هذا المراك ، وليت فيه هذا النزوع إلى محبة الحياة ، فهم
مضطرون إلى تهديته أعصابهم المجنونة وقلوبهم الثائرة باللهو
واللهب ، يطلبون اللهم متى انتهوا من جدم ، ويتوخون البث
متى خرجوا من دائرة عملهم . هو كثير وجد كثير تذوب بينهما

وقد يحلم المجرم باليسر والهي كذلك حلم الأرض بالصيف واليسر
قلما تقضى الليل يحدو لواعجى

وذكري طيور الصيف تهزج في صدرى

أخذت نصيباً من جدى الفجر واقرأ

فنهت آلامى وأرخت من صبرى

وأملت للدنيا صباحاً مؤجلاً سيكشف عنها ظلمة الضيم والشمر

فكل صباح رضه ومثاله ووعد به يحدو الى الزمن النضر

نسر بنمائه وإن لم تكن لنا وننشده فيما يكون من الدهر

عبد الرحمن شكرى

٥٠٢٠

حياة شغافة في سبيل الحياة البهيمية ! وقد شمردت السبينا بتمب
الانسانية وأحست بضناها ، فأجبت أن تعمقها في جهادها ،
وتربها ومضات تلعب وتخبو في جنبات « الشاشة البيضاء » .
فهي تتشبث بالألحان والحسان ومظاهر الخيال القوي لا ينطبق
على حقيقة ، لتفرج عن هذه الانسانية المنكوبة ، ولكنه دواء
من ينقش الشوكه بشوكه ، ويُنير للشمة سيلها بذوبها . لأن
مثل هذه الألحان المضطربة والتجوم الساطمة الخالية سرعان ما تفقد
تأثيرها لأنها لم تصب هدفاً معلوماً ولم تطرق نهجاً مرسومًا

قد تكون السبينا للأدب حليلة وقد تكون عدوة ، لأنها
تريد أن تهضم « الأدب » وتبلغ زاد العقل لتحملة للناظر عن
طريق العين ، فهي مساعدة للأدب على خلق « المثل الأعلى » ؛
وإعنة في الأرواح مختلف الأشواق والحنين إلى ربوع « المثل
الأعلى » ، ولكن من المخرجين من لا يبالي بهذا المثل ولا يسمع
صوته ، لأنه يريد أن يقبض على عيون الناس وجيوبهم ، وهذا
هو الأديب التاجر ، ومنهم من يؤمن بهذا المثل ، ولكنه لا يجد
الفرصة سانحة لمثل هذا النوع . فهو يلقى الومضة إثر الومضة
لأنه لا يقدر أن يتبرأ من كل ما يجيش في صدره ، ولكن أكثر
بضاعته بضاعة يرضى بها رؤسائه . ورؤساؤه يعرضونها ليكسبوا
بها جنوداً وتقوداً ، وهذا هو البائس المدارى ، ومنهم من بلغ
إيمانه بالمثل الأعلى مبلغاً عظيماً ، يخرج من الروايات ما تؤمن به
روحه ، ويخلق فيها شيئاً جديداً متدفقاً لأنه يعمل بقلبه لا بيده ،
وهذا هو من يشفق على هذه الانسانية ، ويريد أن يحملها على
أجنحة صورته وألحانه - ولو ساعة - إلى عالم المثل الأعلى ؛
ربها ما هنالك من نور طافح وأمل خائق . والجالس إلى أفلام
هذا المخرج ليجد نفسه وقد انساخت عنه بغير شعور منه إلى
عالم شعري بعيد ، ما كان حامله إليه إلا فكرة سامية نقلتها أشعة
العين إلى القلب فهام واستهيم . . . إن مثل هذا المخرج يعطى
أكثر مما يأخذ ، ويهيم من الناس قلوبهم قبل جيوبهم

مررت بي هذه الخطرات وازاحمت في نفسى يوم رنت عيناي
وخشع قلبي لهذا (اللحن القوي لم يتم) أراه للمرة الثانية ، وقد
مجردت روحى عنى لتتساق في هذا اللحن ماشاء لها التساقى

- ٢ -

هذا اللحن أو هذا (الفيلم) ترجمة دقيقة لفصل من حياة
« شوبر » الموسيقى التماوى القوي لم تنقص عليه الحياة أجله .

(١٧٩٧ - ١٨٢٨) لكنه فصل مشحون بكل ما يتمثله فكر عن فنان . وسأعرض عليك هذا الفصل لتلمس فيه هذا المثل الأعلى الذى نبحج المخرج فى إظهاره . وإنما هو حياة فنان يشق طريقه إلى المجد بأوتار قيثارته وأأمل «يانه» البيضاء ، وتاريخ صراع هذا العبقري للمصادقات والأقدار التى انتصر عليها

نحن الآن فى منزل « رهون » نجتمع فيه البنتلة الثمينة بجوار شمال « ناپوليون » والقيثارة الجريح بقرب الحسون فى قفصه « رهين المحبين » تسلّم هذه الأشياء فتاة جميلة ، لامة المبتين ، لا تقدر قيمة الأشياء إلا بحسب قاعة عندها

يطال على النافذة فتى تكاد تيبس عضلات وجهه المتصلب ، على عينيه نظارتان ، عِد قيثارته التى طالما ملأت ليليه ألحاناً ، وأشبعت وحدته أماناً ، يقدمها بيد مرتعشة ليرهنها ، يجرد عن الرهن شيئاً فراجع الفتاة الجالسة فتجيبه : هذا هو الثمن المحدد ! ولكن صوتاً يُهيب بها فى داخلها ، وإنما هو صوت الحنان على الفن الذى يسبح فتريد الثمن وتدعو الله أن يذهل والدها عما زادت ، ليتسنى لصاحب القيثارة أن ينتفع بيد قيثارته . فيأخذ الثمن ويحميه بعد خروجه فيجده أكثر مما قالت ، فيعود بقلبه البسيط ، فيعثر بالفتاة خارجة ويخبره أنها شذت معه إكراماً لفنه ؛ وإذ يسمع - شوپير - ألحاناً تآتى من بعيد فينطلق وراءها وهى تقودها إليه عاطفة غريبة ، فتسأل سر ابتهاجه بهذه الألحان ، فينبئها أنها ألحانه يرددها الصبايا الحائيات على الماء

- إن ألحانك ترددها « فينا » ؟

- أجل ! ترددها « فينا »

- أنت سعيد إذا يا شوپير ! ولا بد أنك غنى

- أما الغنى فلا

- ولماذا تثار إذن على التلحين ؟

- وما يكون عمل شوپير فى الوجود إذا انصرف عن التلحين ؟

- وهذه الأبيات الرقيقة التى أسمعتها أمى من « جيته » ؟

- لا ! . ومن هو جيته ؟ لمنى لم أسمع به قبل اليوم

- إنها من نظم صديقى « مولر »

- عجيب ، ألا تعرف « جيته » ؟

وهنا يعودان على آثارهما فتنب إلى غرفتها وتقذف له على طريقه بديوان (لجيتته) فيأخذ الكتاب ، ويلتهم ما فى الكتاب ويبتلو ذاهلاً غافلاً ؟ - يخطر فى السوارع وعيناه شاخصتان فى

الكتاب ، ويدخل قاعة الدرس وطلابه فى حرب يملئها بعضهم على بعض ، سلاحها الأوراق والكتب وإهراق السداد ! وقد تصيب دواة قبته فتطير عن رأسه فلا يشعر : ولكنه لا يكاد يستقر فى مكانه حتى تهدأ الجلبة وتقر الحركة ، فيمجهه هنا السكون ويشكر طلابه عليه ، فيبدأ درس الحساب ويكتب على اللوح الأسود بآدناً يجداول الضرب ، ولكن هذه اليد تتحرك بغير وعى وتنتقل بغير إرادة . لأن القلب الموسيقى الذى أطل عليه

من وراء « جيته » قد استولى عليه ، فيده تسطر وقلبه ياخُن ، وما هى إلا لحظة حتى كان الطلاب من وراءه يرددون اللحن الذى

سطره ! وإذا بدرس الحساب يتحول إلى درس موسيقى ! فيسمع الرئيس الألحان شائمة فى الفتاة ، فيطرق غرفة « شوپير » فيجده لاهياً وطلابه بهذه الأغنية ، فيطلب إليه أن يهرع إلى مقابلته ، ولكن هذه المقابلة التى يتخيلها الناظر عشور جد وسوء

طالع ، قد هيأت لشوپير أن يقابل « مدير الأوبرا » فى « فينا »

المعجب ببراعته ، وهو ينتظره فى بهو الرئيس يجعله دعوة إلى

منزل الكونتس « دى رنكى » ليعزف فى إحدى مهراتها

الموسيقية الحافلة التى تقيمها كل خميس وتجعل من منزلها ملق

أرباب الفن وأنصاره . وجدير بمثل هذه المقابلة أن تفتح أمام

« شوپير » مستقبلاً زاهياً مضموناً . ولكن أنى له أن يفشى هذه

الحفلة وليس عنده رداؤها . وقد طرق بيت الرهون فرده صاحبه

خائباً ، لأنه لا يملك ما يفك به رهينة ، ولكن الفتاة الهاتمة

بفنه أعادت إليه رداهه وقيمته لتحقق له ظفره فى هذه الليلة

كان بهو « الكونتس » يمج بالزائرين والآثرات ممن سما

بأرواحهم الفن والموسيقى ؛ ولجأة دخل « شوپير » منتفخ الرداء

ساطع الوجه ، يلمس غده بيده . ولكن نشوة السرور قد أذهلته

عن أن يترع (علامة الرهن) عن ظهر الرداء . فر وعيون القوم رانية

إليه ، تتفاضر عليه . فقبل يد الكونتس وحطم بخيط « العلامة »

تمثالاً عزيزاً علق به ، ولكن الكونتس لم ترد إلا ترحيباً به

جاء دور « شوپير » ومرت أنامله على « البيان » يعزف

أنشودة أبدعها لمثل هذه الساعة . وأودعها كل ما يجتليج فى

صدره من أماني وأشجان . فترى القوم سكارى ومأمم بسكارى !

فتدجل - خلال ذلك - الكونتة استركز الفتاة الحساء

وهى متأخرة ، فتأخذ مقمدها وتضنى بروحها المرححة إلى هذه

النفثات ، فتسأل فتاها فيجيب همساً : أنه « شوپير » فلا تقهم .

كتب عليها القدر ألا تخطط طريقها إلا بدماء القلب الجريح ،
والشقاء الدائم ، فليهن « شويير » على طريق البقرية . . .

— ٣ —

طلب أحد الأمراء الموسرين في « هونقريا » لى شويير أن
يقدم عليه ليعلم فتاتيه الموسيقى ، فارتاح لهذا الطلب وأيقن أن
الأمل طفق يبسم له ، فودع « ايمى » ووعدها بأن يكاتبها وسار
وراء الأمل الجديد

دخل المنزل فاستقبله الوالد بابنتيه « ماريا و كارولين » . نظر
شويير في وجه « كارولين » فأدرك أن هذا الوجه هو وجه
الساخرة ، فأربد وجهه وتقلصت شفاهه . ولكنه هدأ نفسه
وكظم غيظه . وغادر الوالد المكان ، وعدت وراءه « ماريا »
لأنها لا رغبة لها في الموسيقى ، وخلا له ولها المكان
قالت كارولين بأسمة :

— أريد أن أعرفك ، لأنني جمعتُ درس الموسيقى سيباً !

— أودين أن تمخري منى أيضاً ؟

— لا يا شويير ! أريد منك أن تعلق هذا البيان

فدناشويير من البيان وأغلقه بهدوء ، فضحكت كارولين وقالت :

— في امكان الانسان أن يفلقه بدون ضوعاء ! قد شمرت

بخطيئتي العظمى ، وانى لأرجو أن تصفح عني . . .

— قد صفحتُ !

— إذا سنبداً غداً . . .

وفي اليوم الثاني كان « شويير » يلقى على تلميذته قواعد في
الموسيقى وفي الايقاع ، ويبدى لها أن الايقاع هو حياة الموسيقى
وأصل توازن ألحانها ؛ ويعرض عليها مقطوعة صغيرة له تلوها
بصوت عال ، فتتلو السطر الأول والثاني ثم يتعالى صوتها شادية
مرغمة يتلاتى أمام نفاثها ونبراتها عزف البيان ولحن القيثارة ،
فيذهل شويير وأى ذهول ! ويتصاغر أمام جلال هذا اللحن
المتناسق ؛ حتى انتهت من تلاوتها وجاءت على هذه الكلمة
« وهي مقطوعة مهداة إلى الفتاة ايمى » فنارت في نفسها غير
عميقة ، لأنها كانت تشعر بأن هذا الفنان يجب أن يكون لها
وحدها ، فطلبت إليه أن يقدم لها في المرة الثانية من أغانيه
مالاتشركها فيها امرأة ! ولتكن تلك الأغنية التي لم تكمل . . .
ولكن هذه الأغنية ظلت غير تامة لأنه لم يستطع أن يتمها

قالت له كارولين في إحدى خلواتها :

فيكتب على صفحة مرآتها بحد ذر « البودرة » أحرف
« شويير » فلا تفهم . . . وتتفخ على اسمه فيطير . ولكن
أوضاع جلوس شويير على البيان تهيب بها إلى الضحك فتملك
نفسها فلا تقدر ، فترسلها ضحكات عالية تنال من عزة « شويير »
فيرمقها شزراً ، ويطلق البيان بعنف ، ويهب من مقدمه لا يملك
نفسه المهتاجة ، فيدركه « مدير الأوبرا » فيجيبه بلاء وأنفة :

— أنا لست ممن يمزفون وهم يضحكون !

وانطلق وقد ترك في المنزل ، زوبعة ، وصاحبة المنزل تقول

للفتاة « ومما يؤسف له أن المقطوعة لا تبعث على الضحك »

تلك عزة الفن دعتة فأجلب ، وهو يقدر أنه قاتل مستقبله ،
وداع البؤس لى ساحته ، ولكن ما همه بمستقبله وببناه إذا كان
الفن يحمي في منزله مهاناً وبرضى بهوانه ؟ أليس هذا المثل يضرب
لكل فنان معنى العزة ويمث فيه الكبرياء ؟

خرج « شويير » دامي القلب ، ولكنه عنيف الثورة شديد
النقمة على هذه الغادة التي حالت بينه وبين أعمام لحنه . . . آب
إلى غرفته بأمانيه المهزومة كالتقائد المنكسر يمود بقول جيبه
وأوسمته القديمة ، فألقى غادته الأولى في انتظاره ، وهي لم تكن
لتحب أن تراه مقطباً طابساً ، جلس إلى البيان بماود ذلك اللحن
الطائر ، فلا يكاد يشرف على المهوى القدى تماثلت فيه ضحكة
الساخرة ، حتى يتمثل أن ضحكتها تملأ جو غرفته ، فيهب مذعوراً
يسد أذنيه ، وكأن يبدأ سحرية تحول بينه وبين الانتقال إلى
المهوى الثاني . وبعد محاولة غير مجدية غادر البيان والبيان يضحك ،
وجدران الغرفة تضحك ، وهي في قرارة ضميره تضحك . . .
كلفه هذا الحادث كثيراً ، فقد أخرجوه من المدرسة ،
وحرموه الخبز الذي يأكله ، فألحف اللاتنون في الطلب ، وج
الأصدقاء في الهرب . وشفعت له « فتاته ايمى » عند « مدير
الأوبرا » ولكن هذا قد قُدَّ قلبه من جداد !

— كن لطيفاً معه

— أنا لستُ بلطيف

— لا تهجر شويير !

— إنه يستحق

— ولكن اذكر أن « فينا » تترنم بأغانيه ، فإن أغانيك ؟

يمثل هذه البساطة وهذه الحدة كانت تجادل « ايمى »

مدير الأوبرا لاستنائه إلى معاضدة « شويير » ، ولكن البقرية

— سمعت بأنك تختلط بماننا في المزرعة في جلسات طربهم
وإني لأرأى بأستاذي أن ينشئ هذه الجماع الساقطة

ولكن شوير كان يستوحى الفن حيناً كان ، ويستقد أن
الفن يسكن في الأكواخ ، وفي الجماعات المنحطة ، وفي التراب .
وظل ينشأها كعادته ، حتى جأته يوماً في مجلس لهؤلاء
« النجربين » الذين اتخذوا الحياة عزفاً وطرباً ، وقذفوا بهمومها
من وراء ظهورهم . جأته وهي ترتدى رداء « النجريات » وعلى
وجهها تظفو بهجتين وسرورهن . فرقصت حتى بات المكان
كله لا يتسع إلا لقدميها . رقصت حتى أعيت ، ودنت منه تنشد
مقطوعة رقيقة تدعو إلى الاستسلام الذي تولده النبطة الكثيية :

« قل انك تحبني ؛ قل بدون انقطاع

قل انك تحبني قليلاً . . .

كلماتك هذه تبعث النبطة في نفسي ، والراحة في قلبي
عيناك هما السبيل الجميل حيث يتوارى حلمي

قل انك تحبني ، واكتب إذا وجب الكذب . . .

قل ذلك . . . لأنك — إذا سكت — تسلمني إلى الموت »

وجدير بمثل هذه الأفضية الرقيقة أن تذهلها عن نفسها ، وأن
تغيب أستاذها عن وعيه . فإلهم يدها ، والزوبمة لا يزال مزعجها
بين الأغماس . فنادرت المكان راكضة بين المروج الذهبية التي
هي قبلة المشاق ، ومرتمى أصحاب الوحدة ، فتبعها ليرجع إليها نقابها
— قني يا كارولين . . . لقد نسيت تقابك ، ما عسى يقولون

في القصر اذا عرفوا ؟ لماذا جئت ؟

— ألا تعرف أنت حتى الآن . . . طانقني يا شوير !

وهنا ضمتهما قبلة عميقة لم تشهدهما إلا السماء . ولم نسمع
حمسها إلا الأزهار والأعشاب . . . أذهلتها عن تقابها التي
سقط على الأرض فمادت بنير تقاب

— ٤ —

أدرك الأمر والدها ، ورأى في فتاه ميلاً إليه قد ينتهي
بالتزواج . فأحب أن يحول بينهما ، فصرف « شوير » صرفاً
أدياً ليمود إلى عزله الأولى . وشوير في كل غيبته لم يذكر
« إيبي » بكتاب . لأن كفة « كارولين » رجحت على كفتها .
فلم تستقبله « إيبي » ولكنها سمعت أنه يكاد يمدو مجنوناً . وهو
في كل يوم يرتقب كتاباً من « كارولين » وها قد دب اليأس
في نفسه بمد انتظار ثلاثة أشهر ، وها قد أشفقت « إيبي » عليه

فهرعت إليه بدون إرادة ولا عزيمة . . . وفي لحظة حضورها
وردت عليه بطاقة من القصر تأمره بالحضور العاجل . فما قابل
« إيبي » إلا ليودعها وتودعه

— إيبي اكوني سعيدة إنني مسافر ، سوف أبعث إليك بأنبأني
انطلق « شوير » ولا يعرف ما كُتب له . فشهد في القرية
حالة غير معهودة ؛ أجراس ترق ، وثياب بيضاء ترف . وأظن
تعالى . إنه عرس « كارولين » أجتت يا شوير لتودع كارولين ؟
لم يكن صاحب البطاقة الرسالة إلا « ماريا » أخت
« كارولين » دعت « شوير » ليحضر حفلة زفاف أختها .
وليصفح عنها لأنها كفتت عن وزرها بالبكاء الطويل ، ولكنها
أذعنت لوالدها مضطرة غير مختارة . . . وقد وقف « شوير »
بين الجموع يشهد مرورها أمامه

وقفت « ماريا » جأة بين جموع المهئين في بهو القصر ،
تلن أن « شوير » يريد أن يهني المروسين « فدخل شوير
وقدرت العيون إليه ، ومشى حتى بلغ موقف « كارولين »
وقال لها : « يا سيدتي ! هل تفضلين بأن أقدم تمة اللحن الذي
لم يتم تقدمة لك في يوم عرسك ؟ » واختلف إلى البيان يردد
اللحن الأول « وكارولين » بين الجوع تنتفض طوراً وتختلج
نارة تحت تأثير الذكريات الهافية حولها . تفيض على قلبها صرارة ،
وعلى محجربها تطفح دمعتان . وما كاد ينتقل « شوير » إلى
تمة للقطع ، وقد اختلقت النغمة ، وامترج الجلال بالجمال ،
ونطقت العاطفة ، وقلب القلب على الأنامل ، حتى سقطت
« كارولين » مستخرطة في البكاء في الموقع الذي قاطمت شوير
بضحكتها . فانفض الجمع وأخذوا المريضة . وشوير مُسمر في
مكانه لا يتزحزح . وبعد برهة طاد إليه زوجها يقول له : « إنها
تحسنت قليلاً وتود أن تقابلك » . طادت كارولين ووجهها مقنع
بكل ما رسمت على وجهها الحياة منذ طفولتها حتى الساعة . فالأنامل
بجأورة للألام . واليأس مؤتلف مع القنوط : إنه وجه حياة كاملة

— شوير ! هذه مقطوعتك أرسلها إلى

— وليه ؟ لأنها مكتوبة للجميع

— عش سعيداً يا شوير ! ولا تحزن . إنك تملك شيئاً هو

اسمى من كل شيء . . . هو الفن الذي يعطيك الخلود

طفرت من عينها دمة ، وانصرفت راكضة لأنها لا تستطيع أن
تقف أمام هذه السحابة الجارفة التي يسوقها فن عميق سام جارفي

ولدى ان جبينك ليطمع نوراً . . .
شكراً لك أيتها الأم الآسفة
أنت التي أتقنتِ ولدى
سلام عليك يا مريم . . .

هي مقطوعة تناجي بها أم تكلّي « مريم » وتبنيها شكواها .
وقد برح بها الحزن وأمضها الألم . والآن تفلق قلبها المفتوح
وتطوى ألها المنشور ، ونجس براحة نفسية ، تصانح الألم فلا
تراه شائكاً ، بل هي الآن أوسع صدرأ للألم لأنه لا يعانى على
إيمانها . وقد تكون هذه الفكرة فكرة فنان شاعر يناجي مثله
الأعلى الذى وجد فيه أمه الأسمى . فهو يحمل نفسه المجرحة
يريد أن يلقى لها منزلاً تنزل فيه ، فيجد الأبواب كلها مسدودة ،
وما هو ذا الآن على طريق النزل الأعلى الذى سلخه عن الوجود
قد تلاشى الحب في « شوير » وانطفأت جنوته للثبية ،
وابتمتت ذكرياته المذنبه . لا لأن شوير يحب كاذب يسهل عليه
الاتصال والاتصال . ولكن شوير قلبه قلب فنان ، وقلب الفنان
كبير ، قد ارتسمت - على قلبه - كل أشواقه الماضية ، وآلامه
الغائرة وسرت معه لتؤلف « ذلك للثل الأعلى » بفنه الذى
- كما قالت كارولين - إنه وحده يعطيه الخلود
وقد يتساءل القارىء : أما وقد عاد شوير خائباً ، فكيف
التقت به « إيمي » فتانته الأولى ؟ بقيت تقطة غامضة لم يبالها
المخرج ليترك المثل الأعلى منتصراً على كل شيء

- ٥ -

قد لا تروق هذه النتيجة للبعض ، لأنهم يتلقونها بمقولهم ،
وعقولهم لا يرضيها شيء من غذاء الماطفة ، ولا تقبل إلا بما فيه
غذاء لمنطقها ، ولا ينفذى منطقها إلا عالم الواقع اللئوس . . .
ولكن قاتهم أن هذا العالم الواقى قد بدأت تطفو عليه عوامل
الاضمحلال لأنهم قتلوا فيه كل مثل ، سواء ذلك المثل الذى
يوجيه الفن أو يوجيه الشر
لا يحمل الناس من هذه الومدة التى نزلوا فيها وهذه المادية
التي استغرقوا فيها إلا الإيمان بالمثل الأعلى فهل نرى - السينا -
تقف يوماً أمام الفن والشعر جنباً لجنب ، لتؤدى ما عابها من
التبشير بهذا « المثل الأعلى » ؟

مفيل فنندارى

عاد « شوير » إلى لحنه ، فأبقى ما عرّفه ، ومزق تمة
اللعن ، وكتب حول ما مزقه : « ليكون دليلاً على حبي للذى
لا ينتهى ، جعلته لحناً لا ينتهى » . وخرج « شوير » بسلك
الطريق الذى أبصر أحلامه الوائبة ، والآن يبصر نفسه المكتئبة ؛
وما زال يقنف به السير حتى وقف على تمثال « مريم المنراء »
وهناك تمازج كل ما فيه من عوامل متضادة ، من يأس ورجاء .
من غبطة وكآبة ، وفن ومثل أسمى ، لتؤلف هذه العوامل
« أنشودته السلام الملائكى » التى خلدت شوير في عالم الموسيقى ..

« السلام الملائكى »^(١)

سلام عليك يا مريم ! يا ملكة السماء
إليك ترتفع صلاتى ، وأرى المطف في عينيك
وفيك أيتها الطاهرة أضع رجائى

ولدى كان مخفف يؤسى ، ومعزى فائقى
إنه تالم ، وا أسفاه ، إنه قضى
افهمى دموعى أنت ، يا من كنتِ أما
وأعيدى إلى طفلى البائس . . .

سلام عليك يا مريم ! إن ولدى جميل
كنتُ به مختالة محجبة . . .
باركى سريره الصغير . . .
إنه كان خيرى ، بل خيرى الوحيد

إذا أصابى الله في غضبه
فاعطنى أنتِ على الصغير البرى
واستجيبى لى . . . لاني أم
تطلب للوت في سبيل ولها

سلام عليك يا مريم
أرى طفلى وُلد ثانية بالصلاة
كأنه الزهرة الماطرة ، والنحة الجلية ،
وإجمال الجذاب ، والسر المقدس ،
انظرى لى أنت يا موضع أملى !

هي أغنية - كما يوضع - تناجي بها أم تكلّي « مريم المنراء »
وهي معبورة بين الألمان الكاتبة